مقـــدّمة

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدِ الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

واشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته ، واهتدى بهديه الى يوم الدين .

(وبعد) . فان الدعوة الى الله ـ تعالى ـ هي مهمة الرسل والأنبياء الذين هم خيرة الله من عباده ، وسفراؤه إلى خلقه ، وهي مهمة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العاملين ، والربانيين الصادقين ـ وهي أفضل الأعمال بعد الايمان بالله تعالى ، لأن ثمرتها هداية الناس إلى الحق ، وتحبيبهم في الخير ، وتنفيرهم من الباطل والشر ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور . « ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ، وعمل صالحاً ، وقال : انني من المسلمين »[1] .

والدعوة إلى الله هي الدعوة إلى دينه ، واتباع هداه ، وتحكيم منهجه في الأرض ، وافراده ـ تعالى ـ بالعبادة والاستعانة والطاعة ، والبراءة من كل الطواغيت التي تطاع من دون الله ، واحقاق ما أحق الله ، وإبطال ما أبطل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله . وبعبارة موجزة : الدعوة إلى الاسلام خالصاً متكاملاً ، غير مشوب ولا مجزأ . ومثل هذه الدعوة إلى هذه المعاني ليست بالأمر الهين الذي يقابل بالاغضاء والسكوت ، أو الموافقة

---

(١) سورة فصلت : ٣٣

والقبول ، وكيف تقبل هذه الدعوة العقول الجامدة أو القلوب المريضة ، أو القوى المتسلطة ، أو الفئات التي أضلها الهوى أو أغرقها حب الدنيا ؟ لهذا كان لا بد لهذه الدعوة العظيمة الشاملة من دعاة أقوياء ، يتناسبون مع عظمتها وشمولها ، قادرين على أن يمدّوا أشعة ضيائها في أنفس الناس وعقولهم وضمائرهم بعد أن تشرق بها جوانحهم هم ، وتستضيء بها حياتهم . إن هذا الداعية المنشود هو القوة المحركة « الموتور » أو « الدينامو » لعملية الدعوة وحركة سيرها .

إن المشتغلين بالتربية والتعليم يقولون بعد دراسة وخبرة ومعاناة :

إن المعلم هو العمود الفقري في عملية التربية ، وهو الذي ينفخ فيها الروح ، ويجري في عروقها دم الحياة . مع أن في مجال التعليم والتربية عوامل شتى ، ومؤثرات أخرى كثيرة ، من المنهج إلى الكتاب ، إلى الإدارة ، إلى الجو المدرسي ، إلى التوجيه أو التفتيش ، وكلها تشارك في التوجيه والتأثير بنسب متفاوتة . ولكن يظل المعلم هو العصب الحي للتعليم .

فماذا يقول المشتغلون بالدعوة والإرشاد في شأن الداعية ومبلغ أثره ، وهو العامل الفذ ، الذي ينفرد بالتأثير والتوجيه في عملية الدعوة ؟؟ إذ لا يشاركه في ذلك ـ عادة ـ منهج موضوع ، ولا كتاب مقرر ، ولا جو ولا إدارة ، ولا توجيه .

فالداعية وحده هو ـ في غالب الأمر ـ الإدارة والتوجيه والمنهج والكتاب والمعلم وعليه وحده يقع عبء هذا كله .

وهذا يجعل العناية بتكوين الدعاة ، وإعدادهم الإعداد المتكامل ، أمراً بالغ الأهمية ، وإلا أصيبت كل مشروعات الدعوة بالخيبة والإخفاق ، في الداخل والخارج ، لأن شرطها الأول لم يتحقق وهو الداعية المهيّأ لحمل الرسالة .

ومن هنا كان لا بد للداعية الذي يريد ـ أو نريد له ـ أن ينتصر في معركته

على الجهل والهوى والتسلطِ والفساد ، أن يتسلح بأسلحة شتى لازمة له في الدفاع والهجوم .

وأول هذه الأسلحة ـ ولا ريب ـ سلاح الايمان ـ فبدونه يبطل كل سلاح وتفشل كل ذخيرة ، وليس الايمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل .

وثاني هذه الأسلحة هو : الأخلاق ، وهي من لوازم الايمان الحق وثماره ، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً .

وقد وصف الله سيد الدعاة من خلقه فقال : « وإنك لعلى خلق عظيم »[1] وخاطبه بقوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب ، لانفضوا من حولك »[2] .

وثالث هذه الأسلحة هو : العلم أو الثقافة ، فهذه هي العدة الفكرية للداعية بجوار العدة الروحية والأخلاقية . والدعوة عطاء وإنفاق ، ومن لم يكن عنده علم ولا ثقافة ، كيف يعطي غيره ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، ومن لم يملك النصاب كيف يزكى ؟ .

وحديثنا في هذا البحث عن هذا الجانب خاصة : الجانب الفكري أو الثقافي المطلوب للداعية المسلم . كيف يعد الداعية نفسه . أو كيف نعده نحن الإعداد الثقافي المنشود ؟ وبعبارة أخرى : ما الثقافة اللازمة للداعية إن أردنا أن ننشيء مدرسة للدعاة ، أو كلية للدعوة ، أو أراد أحدنا أن يكون من نفسه داعية قادراً على التوجيه والتأثير ؟

إن الجواب عن هذا السؤال هو موضوع هذا البحث الذي أعددته في الأصل للمؤتمر العالمي الأول ، لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة ، الذي دعت إليه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في صفر ١٣٩٧ هـ. وقد كنت أردته مختصراً

(١) سورة القلم : ٤

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩

فطال بالرغم مني ، ولعل في ذلك الخير ، فالموضوع تتطلبه الحاجة اليوم ، وبخاصة أن أكثر من كلية للدعوة أنشئت وتنشأ في عالمنا الاسلامي .

ولقد تبين لي أن الداعية في حاجة إلى مجموعة من الثقافات هي :

١ ـ الثقافة الإسلامية .

٢ ـ الثقافة التاريخية .

٣ ـ الثقافة الأدبية واللغوية .

٤ ـ الثقافة الإنسانية .

٥ ـ الثقافة العلمية .

٦ ـ الثقافة الواقعية .

والمطلوب من الداعية الناجح أن يتمثل هذه الثقافات ويهضمها ، ويكون منها مزيجاً جديداً طيباً نافعاً أشبه شيء بالنحلة التي تأكل من كل الثمرات ، سالكة سبل ربها ذللاً ، لتخرج منها بعد ذلك شراباً مختلفاً ألوانه ، فيه شفاء للناس ، كما أن فيه آية لقوم يتفكرون .

وسأتحدث عن كل واحدة من هذه الثقافات الست بما يفتح الله به ، ويتسع له المقام . وبالله التوفيق .

الدوحة ١٣٩٦/١٢/١٨ هـ .

د . يوسف القرضاوي

الثقافة الإسلامية

إن أول ما يلزم الداعية المسلم من عدة فكرية ، أن يتسلح بثقافة إسلامية ثابتة الأصول ، باسقة الفروع ، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها .

ونعني بالثقافة الإسلامية : الثقافة التي محورها الإسلام : مصادره وأصوله وعلومه المتعلقة به ، المنبثقة عنه . وهذا أمر منطقي ؛ فإن الداعية الذي يدعو إلى الاسلام ، لا بد أن يعرف : ما الاسلام الذي يدعو الناس إليه ؟ . ولا بد أن تكون هذه المعرفة معرفة يقينية عميقة ، لا سطحية مضطربة . ولهذا كان لا بد أن يستمد هذه المعرفة عن الإسلام من مصادره الأصلية ومن ينابيعه المصفاة ، بعيداً عن تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

وبهذا يكون الداعية على « بينة من ربه[1] » وتكون دعوته « على بصيرة » كما أراد الله لرسوله ـ ص ـ ومن تبعه واهتدى بهداه « قل هذه سبيلي ، أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما أنا من المشركين[2] » .

لا بد للداعية إذن أن يقف على أرض صُلبة ، من دراسة العلوم الاسلامية دراسة وعي وهضم وتذوق . ثم يخرج منها شراباً مختلفاً ألوانه ، فيه شفاء للناس .

---

(١) سورة محمد : ١٤

(٢) سورة يوسف : ١٠٨